شياطين الشعراء (*)

الأستاذ أحمد محمد الحوفي

عبقر — شيطان الشعر — شياطين سحر الشعراء — شياطين شعراء الإفرنج — العقل الباطن.

— ١ —

الشعر وحي وفيض وإلهام، وهو إذا ما صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة، فلا أثر للارادة فيه، أو أثرها فيه أضعف من تأثير التلقي والطواعية والاستمداد من أغوار النفس واللاشعور.

وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن، وتخيلوا أن عبقر واديهم ومقامهم، وقالوا في الأمر العظيم عبقري، فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجن، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض. ولكن للشعر شيطانين: أحدهما مجيد واسمه الهوبر، والآخر مفسد واسمه الهوجل، وكانت عقيدتهم هذه معلومة في العصر الإسلامي، فقد روى أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له: إني قد قلت شعراً فاسمعه قال: أنشدني فقال:

ومنهم عمر المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق، ثم قال: يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر فسد شعره، وقد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان سمك الهوبر في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت[1].

وقد سموا الشعر رق الشياطين، قال جرير:

رأيت رق الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وقال آخر:

ماذا يُظن بسلمى إذ يُلمّ بها
مُرَجِّل الرأس ذو وُفْرَين وضّاح
خِرٌّ عمامته حلوٌ فكاهته في كفه من رق الشيطان مفتاح

وصرح كثير منهم في العصر الجاهلي وفيما بعده بأن شياطينهم ألهمتهم أفانين القول، قال الراجز:

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوٌّ عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن[1]

وقال حسان في جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فإن يُقال له: من هوه؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً أقول، وطوراً هوه

وقال جرير:

إني ليُلقى عليّ الشعر مكتهل من الشياطين

— ٢ —

ولم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى الشياطين، بل سموها، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى. فشيطان الأعشى مسحل، وشيطان فرو بن قطن جهنام، قال الأعشى:

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنام. بعداً للغوي المذمم[2]

وشيطان المخبل السعدي عمرو، قال الشاعر الإسلامي:

لقد كان جنيُّ الفرزدق قدوة ولا كان فينا مثل خل المخبل
ولاقى القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل

وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد، وهو نفسه شيطان بشر بن أبي خازم وينسبون إليه:

أنا ابن الصلادم أدعى الهبيد حبوت القوافي قَسْرِي أسد
عبيداً حبوت بعـــأثورة وأنطقت بشراً على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذاً عزيزاً ومجداً وجد
متحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد؟[3]

وسأله الراوي: أما عن نفسك فقد أخبرتني، فأخبرني عن مدرك، فقال: هو مدرك بن واغم صاحب الكميت، وهو ابن عمي.

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ بن لاحظ، وشيطان زياد القيسراني هاذر[4] ونسبوا إلى أبي نواس أنه كان يستعين بإبليس في نظم الشعر، ورووا له أبياتاً منها:

دعوت إبليس ثم قلت له في خلوة والدموع تنحدر:

(*) من كتاب «الحياة العربية من الشعر الجاهلي» الذي يظهر في هذا الأسبوع.

(١) جمهرة أشعار العرب ٣٠

(١) رسائل أبي العلاء ١٠٠ (٢) رسائل أبي العلاء — ١٠٥
(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ ، (٤) الجمهرة ٢٣.

أما ترى كيف قد بليت ، وقد قرح جفنى البكاء والسهر ؟
إن أنت لم تلق لى المودة فى صدر حبيبى وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا ولا جرى فى مفاصلى السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتانى الحبيب يعتذر[1]

ولم يقتصروا على نسبة الشعر للشياطين ، بل نسبوا إليهم الغناء أيضاً فى العصر الإسلامى ، وقالوا إن الفريض كان يتاق غناءه من الجن ، وأن سكارى سمعوا وهو يغنيهم ذات ليلة عزفاً عجيباً ، وأصواتاً مختلفة أفزعتهم ، فقال لهم . إن فيها صوتاً إذا نام سمعه ، ويصيح فيبنى عليه غناءه ، فاستمعوا إليه فإذا نغمته نغمة الفريض فصدقوه[2] .

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء ، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث ؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر :

وإنى — وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى — وشيطانى ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم فى معلقته هكذا :

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا[3]

وقال إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن ، فالمعنى أننا ليسنا الأسلحة فشرع الشعراء يذكروننا .

— ٣ —

ولهم مع شياطين الشعراء أقاصيص ومساجلات ، وهما كانت منثورة فى كتب الأدب ، نذكر بعضها للتمثيل :

قال جرير بن عبد الله البجلى [4] : « سافرت فى الجاهلية فأقبلت على بعيرى ليلة أريد أن أسقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم سكارى عنده ، فقمدت ثم أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم ، فقالوا هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدنى ، فأنشد :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل » البيت

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً ، حتى انتهى إلى البيت:

فسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل[1]

فأعجبه ، فقال له : من يقول هذه القصيدة ؟ قال: أنا ، قال : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بنى ثعلبة أنشدنيها هنا أول ينجران. قال : فإنك صادق ، أنا الذى ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضمه عند ميمون بن قيس »

وقد لاق الأعشى هاجسه مسحلا وسمع منه [2] ، وقد اعترف فى شعره أن مسحلا يوحى إليه ، بل إنه مصدر وحيه ولولاه ماشعر:

وما كنت شاحوذاً ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أطلق

شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : إنسىٌ وجنٌّ مُوفّق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفانى لا عىٌّ ولا هو أخرق[3]

وحاور عبيد بن الحارس جنّيًّا [4] بالشعر .

وذكر أبو العلاء أن أبا بكر بن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول : لم لا تقول فى الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبو نواس مقالاً ؟ فقال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبى ترجس وشقائق
حكت وجنة المشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له أبو بكر : من أنت؟ فقال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه فقال : أبو زاجية ، وخبره أنه يسكن بالموصل[5] .

— ٤ —

وإذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن وتخيلوا أنها تلهمهم وتسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر فإن الفرنجة يشبهونهم فى كثير من تخيلهم .

يعبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذى

(١) عصر المأمون ٣ — ٢٢٣ .
(٢) الأغانى ٢ — ٣٧٣ الفر .
(٣) آكام المرجان .
(٤) الأغانى ٩ — ١٥٦

(١) المشرق : شجيرة فى أكلها حب صغير إذا جفت فرت بها الريح سمعت لحبها خشخشة .
(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩ .
(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٤ — ٤٤٨
(٥) رسائل أبى العلاء ١٠٦

اشتقت منه كلمة genii وممناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية ، وقيل إن أصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رجيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر ، ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلاً بدا الشاعر « كولردج » قصيدته « كوبلاخان » وأتمها لما حتى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر « ماسفيلد » من نومه لينقل عن جنى قصيدته « المرأة تتكلم » وأغرب من هذين ما يرويه « ولم بلاك » عن نفسه إذ يزعم أنه مسكون ، وأن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهاراً ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما ينظم وحياً لا يستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنضيج ما توحى به

ويقول « ريلكة » إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديوانا من دواوينه الرائعة ، وأعجبه ، وألح الجن أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لا يتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس قبالته[1] .

— ٥ —

ولكن علم النفس يعزو هذا كله إلى العقل الباطن ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل عند الفنان ، وانتهوا إلى أن الانتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

ويروى استيفنسن ، كيف بدأ هو نفسه يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فيقول : « إن العمل الحقيق يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عليا مغلقة ... يقوم به أولئك الناس الصغار — فى الدماغ — الذين ينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نوى وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً ما يطن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه »

وهذا التصوير المستملح تؤيده إشارات من كتاب آخرين ، فهذا فولتير — وقد جلس مرة فى إحدى مقاصير المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته — يصيح متعجباً .. أحقاً أنا الذى كتب ذلك ؟

وجورج إليوت — ولم نكن نعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية — تصرح أنها قد خيل إليها وهى تكتب Abenapede أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيّره ، ويقول جوته إنه كتب أحسن رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى . وكثير من الأدباء الأحياء صرحوا بهذا ، فمثلا بروفسور هوسمان يقول فى طريقة إنتاج قصائده : أنا أظن أن إنتاج الشعر ليس عمليه فاعلة active قدر ما هى قابلة hosrive وغير اختيارية

— ٦ —

التحليل النفسى يعزو إلى العقل الباطن الإنتاج الأدبى الرفيع وقد عجز الشعراء من العرب والإفرنج عن هذا العقل بأنه قوى خفية تلهمهم ، وسموها شياطين .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم ، وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر ، أى إلى الشاعر نفسه .

لست بهذا أهيم مع الشعراء وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن شياطينهم تلهمهم أو تملى عليهم ...

أحمد محمد الحوفى

المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ص ٤٠

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

الأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من توابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد